

جامعة ابن خلدون - تيارت-

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

مقياس: تاريخ الفكر السياسي

السنة: أولى علوم سياسية

الأستاذ: عمر بكـيري

"الفكر السياسي العربي الحديث"

مقدمة:

شهد العالم العربي والإسلامي الكثير من الأحداث والتطورات التي أدت إلى ظهور ما يسمى بالفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، حيث شمل هذا الفكر دراسات وأفكار وبحوث خصت قضايا ومشكلات مطروحة في البيئة الفكرية الثقافية الدينية، و السياسية الاجتماعية الاقتصادية للعالم العربي الإسلامي.

هذه القضايا بعضها قديمة تجددت، وبعضها الآخر حديثة ومعاصرة، ما انعكس ذلك على هذا الفكر الذي جاء تراثيا من جانب وحدثيا من جانب آخر، تبعا لاختلاف مواضيع وقضايا الدراسة كما قلنا، و تبعا لاختلاف المناهج المتبعة فيها، لذلك أنتج تفاعل المفكر مع بيئته تيارات متعددة؛ إسلامية دينية، قومية وطنية، لبرالية علمانية و إصلاحية... الخ، للتعامل مع مختلف التحديات التي عاشتها وتعيشها الأمة العربية و الإسلامية؛ كالأستعمار، قضايا التحرر، الدولة القطرية و الوحدة العربية الإسلامية، التبعية و الاستقلال، الهوية و العرقية... الخ.

من أهم رواد الفكر السياسي العربي الحديث على سبيل الذكر لا الحصر: رفاعة

الطهطاوي، الأفغاني، محمد عبده... الخ

الفكر السياسي عند رفاعة الطهطاوي



أولاً: المولد والنشأة:

ولد الطهطاوي سنة 1801 بمدينة "طهطة" بصعيد مصر، التحق بالأزهر سنة 1817 و أتم دراسته فيه سنة 1822. أُبتعث سنة 1826 إماماً للبعثة التعليمية التي أوفدها محمد علي باشا إلى فرنسا، لكن ما لبث أن أُلحق بها كطالب بسبب نبوغه و إتقانه اللغة الفرنسية في وقت قصير، وقد أتاح له ذلك الإطلاع على أمهات الكتب في التاريخ القديم، الفلسفة اليونانية، الرياضيات والمنطق، كما قرأ لكبار مفكري النهضة و عصر الأنوار الفرنسيين.

عاد الطهطاوي إلى مصر سنة 1831 أين حاول نقل تجربته الأوربية من أجل النهوض بالتعليم في بلده مصر، فقام بترجمة بعض الكتب في الهندسة و الجيولوجيا و الجغرافيا و الطب، كما أسس مدرسة للترجمة، و نشر كتابه الشهير "تخليص الإبريز في

تلخيص باريز" سنة 1834، هذا الأخير الذي ضم وصفا كاملا للمؤسسات السياسية الرئيسية في فرنسا، والأحداث السياسية الكبرى التي عايشها خلال إقامته هناك، كما ألقى الضوء فيه على طبيعة وأوضاع العلم في أوروبا، مقدا لقرائه أعمال كبار المؤلفين وملاحم الثقافة الفرنسية، ساعيا لإبراز أهمية التقدم العلمي في شتى العلوم ودوره في إحداث النهضة الحضارية لفرنسا.

توفي الطهطاوي سنة 1873، من أهم مؤلفاته: "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز"، "المرشد الآمن للبنات و البنين"، " القول السديد في الاجتهاد و التجديد"، " نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز".

ثانيا: أهم أفكاره:

لم تكن أفكار الطهطاوي مجرد نقل و ترديد للأفكار الغربية، بل كانت أفكارا تجديدية حاول فيها مزج الموروث الإسلامي التقليدي مع الفكر الغربي الحديث.

من أهم أفكاره نذكر ما يلي:

*في الحكم و السياسية:

- الحكومة ضرورية للمجتمع فلا حياة بدونها، و يجب على الناس المشاركة الفعالة في الحكم، بعد أن يتم إعدادهم لذلك.
- يجب أن تواكب القوانين ظروف المجتمع، لأن ما يصلح في زمان و مكان معين قد لا يصلح بالضرورة في غيرهما.
- يجب أن يرتبط المجتمع بموقع جغرافي معين، فهو ناتج عن العيش في مكان واحد.
- حب الوطن يمثل ركيزة كل الفضائل السياسية.

- النظام السياسي يقوم على طرفين: قوة حاكمة ترعى مصالح الأمة، و قوة محكومة تتمتع بالحرية و المساواة و حق المشاركة في المنافع العمومية، فالناس ليسوا ملكا للحكومة، بل هم أحرار لهم حق التمتع بخيرات بلادهم.
- فكرة إعطاء الحكم للشعب غير ملائمة لظروف بلاده مصر، التي يحكمها فرد مستبد مسلم.
- إصلاح الحكم يتطلب من الحاكم أن يستخدم سلطته استخداما رشيدا، فسلطته ليست مطلقة، بل لها حدود تفرضها الشريعة الإسلامية.
- أعباء الحكم لا يستطيع حملها فرد واحد، و على الحاكم أن يفوض سلطته لمجالس تقام لذلك الغرض.
- مصدر السلطة هو الله، و بذلك يكون الحاكم مسؤولا أمامه عن جميع أعماله، و كي لا يزيغ عن الصواب عليه أن يستعين بمشورة العلماء في شتى مجالات المعرفة، دون أن يقتصر ذلك على علماء الدين فقط.
- العلاقة بين الحاكم و المحكومين قائمة على الحقوق و الواجبات، فللحاكم على الناس حق الطاعة، و للناس على الحاكم حق إقامة العدل و تحقيق المساواة و الحرية، و حماية أرواحهم و ممتلكاتهم وفقا لمقتضيات الشريعة.
- ذكر الطهطاوي نوعا آخر من الحقوق سماها الحقوق المدنية، و تعني عنده حقوق الناس تجاه بعضهم البعض، و هي التي تجعل كل فرد ملزما بمساعدة غيره على فعل كل شيء لا يخالف الشريعة، و حق الفرد في ممارسة حريته بشتى أنواعها دون المساس بحرية الآخرين، فالحقوق المدنية عنده هي نوع من التعاقد غير المكتوب بين المواطنين.

*في الحرية و المساواة:

- يرى الطهطاوي أن الناس جميعا متساوون بحكم الطبيعة، رغم اختلافهم في القوة البدنية، القدرات العقلية، و الثروة المادية. إن هذه المساواة هي ذات

طبيعة قانونية، فهم متساوون أمام القانون،) بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية)، في حقوقهم وواجباتهم نحو وطنهم.

- يرى الطهطاوي أن المساواة هي حجر الأساس للحقوق المدنية في الأمم المتحضرة، بينما الحرية هي جوهر تلك الحقوق.
- تعني الحرية عند الطهطاوي؛ حرية الناس في التنقل، العمل، التصرف في الممتلكات، التعبير عن الآراء ضمن القانون و دون التعرض لحرية الآخرين.

*في الشريعة والقانون:

- يرى الطهطاوي أنه لا يوجد فرق كبير بين مبادئ " الشريعة الإسلامية" و مبادئ " القانون الطبيعي" الذي يركز عليه التشريع الأوروبي، و أن الشريعة الإسلامية يجب أن تفسر تفسيراً يتفق مع حاجيات العصر، و واجب العلماء المسلمين هنا هو التعرف على العالم الحديث، و دراسة العلوم العقلية دون الاكتفاء بالعلوم الشرعية، لأن العلوم العقلية كان لها شأن كبير في الحضارة الإسلامية من قبل، و أن الحضارة الغربية قائمة عليها الآن و على المسلمين مواكبة ذلك.

*في الوطن والأمة:

- يعتبر الطهطاوي أول مفكر عربي يصوغ مصطلح "الوطن"، و هو بمثابة علامة على تجاوز المفهوم الإسلامي للأمة، التي تربط كل من يدين بالإسلام مهما كان جنسه و محله.
- يرى الطهطاوي أن الدين ليس من بين الأسس التي تقوم عليها الأمة، فالأمة عنده الآن تعني العرق كما تعني الوطن ذاته، و يعرفها على أنها "جماعة من الناس يعيشون معا في بلد واحد، يتحدثون لغة واحدة، و يشتركون معا في العادات و التقاليد و الأخلاق، و يخضعون لحكومة واحدة و قانون واحد".

- اعتبر الطهطاوي أن مصر هي وطنه، وهي جزء من الأمة الإسلامية، لكنها مثلت أمة قائمة بذاتها في الأزمنة القديمة كما الحديثة على السواء، وأن من يعيشون على أرضها الآن يشكلون أمة تشترك في نفس الحقوق والواجبات دون تمييز.

* في المرأة والأسرة:

- سعى الطهطاوي إلى تحقيق التوازن في العلاقة بين الزوجين، لذلك تطرق للمرة الأولى في العالم الإسلامي إلى حقوق المرأة، مؤكداً على المساواة بينها وبين الرجل في الصفات الجسدية والقدرات العقلية، ووجه الاختلاف بينهما يكمن في النوع فقط.
- يرى الطهطاوي أن الزوجين متساويان في الحقوق والواجبات، وعليهما أن يشتركا معا في إدارة أمور الأسرة وتربية الصغار، وأن يكون الود والرحمة أساس التعامل بينهما وليس علاقة السيد بالمسود، لذلك وجب تعليم البنات لتحقيق الزواج المتجانس وتربية الصغار تربية صالحة.
- اقترح الطهطاوي نوعاً من تقسيم العمل بين الرجال والنساء، حيث تختص النساء بالتمريض والتعليم إلى جانب تربية الأطفال، كما يرى أن العمل يصون المرأة ويقربها من الفضيلة.

* في التعليم والتقدم الحضاري:

- يرى الطهطاوي أن الحضارة لا تبنى إلا من خلال التقدم في العلوم والفنون، لذلك فواجب الدولة تشجيع التعليم ورعاية العلماء، فالتعليم بالنسبة إليه ضروري ضرورة الخبز والماء، وهدفه هو بناء الفرد وتعليمه كيف يفكر وليس مجرد حشول للأذهان بالمعلومات.

- التعليم عند الطهطاوي يجب أن يتضمن المعرفة بالصحة البدنية، العائلة و واجباتها، قواعد و آداب السلوك، و فوق كل ذلك الوطنية التي تحرك الإنسان لبناء مجتمع متحضر.
 - اعتبر الطهطاوي أن التعليم الديني من الأسس التي يجب أن توضع في مناهج التعليم العام، لأنه أساس تكوين الأخلاق و سلامة السلوك، و يتضمن مناهج الدين عنده القرآن و السنة و الفقه.
 - أكد الطهطاوي أن الوقت قد حان لكي يتجه المسلمون إلى أوروبا طلبا للعلم و بحثا عن أسباب التقدم الحضاري التي تزخر بها شتى العلوم هناك.
- في الأخير نقول أن رفاة الطهطاوي كان رائدا من رواد التجديد في الفكر العربي في القرن التاسع عشر، بما قدمه من أفكار و إسهامات بغية تطوير المجتمع العربي الإسلامي على أسس إسلامية تجديدية على طريق علوم الحضارة الغربية.

الفكر السياسي عند جمال الدين الأفغاني



جمال الدين الأفغاني

أولاً: المولد و النشأة

ولد جمال الدين الأفغاني سنة 1839 بأسد آباد بأفغانستان، لأسرة ذات نسب شريف يمتد إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انتقل للعيش في مدينة كابل في سن الثامنة أين اهتم والده بتربيته و تعليمه، امتاز بالذكاء و سرعة البديهة من الوهلة الأولى، فتعلم العربية و الأفغانية و نهل من علوم الدين، المنطق، الفلسفة، التاريخ و الرياضيات.

انتقل إلى الهند بعمر الثامنة عشر لاستكمال دراسته هناك، فتعلم الانجليزية و العلوم الحديثة إلى أن نضج فكره، دأب على الترحال و السفر بين عدة بلدان، ثم عاد إلى بلاد الأفغان و خدم في الحكومة منها كوزير أول، لكنه غادرها مرة أخرى سنة 1869 متجها إلى الهند، ثم إلى مصر سنة 1870، ليقوم بها بضع سنين يدرس طلبته في بيته شتى أنواع العلوم من منطق و فلك و كلام و تصوف... الخ، بأسلوب شيق يخاطب العقل و يحثه على التفكير و البحث عن الحكمة، كما وجه طلابه إلى الاهتمام بالأدب و الخطابة و كتابة المقالات في شتى المجالات، فظهرت على يديه نهضة فكرية.

سافر إلى لندن و باريس أين أسس جريدة العروة الوثقى مع تلميذه "محمد عبده"، نشر فيها مقالاتهما الحماسية الهادفة لإيقاظ الأمة و الإتحاد في الجامعة الإسلامية، ثم غادرها متجها إلى طهران سنة 1889، فاستعان به الشاه لإصلاح أحوال المملكة، لكن آراءه الإصلاحية و الثورية ألبت الشاه ضده و تم نفيه إلى البصرة لمدة، ثم رحل مرة أخرى باتجاه الأستانة (اسطنبول حاليا) سنة 1895 ليستضيفه "السلطان عبد الحميد الثاني" في أحد قصوره، و مرة أخرى اختلف مع السلطان بسبب آرائه، فكلفه ذلك فرض الرقابة عليه و البقاء حبيسا في قصره.

توفي الأفغاني سنة 1897 و دفن في تركيا، ثم نقل جثمانه سنة 1944 إلى كابل في أفغانستان و وضع له ضريحا وسط الجامعة هناك. ترك الأفغاني القليل من الكتابات و

الرسائل لاهتمامه بالدعوة وعدم التفرغ للكتابة، و من بين مؤلفاته: كتاب "البيان في الإنجليز والأفغان"، "تتمة البيان في تاريخ الأفغان"، "رسالة في الرد على الدهريين"، ورد عن محاضرة المستشرق الفرنسي "رينان" عن "الإسلام والعلم".

ثانياً: مجمل أفكاره

تركزت أفكار الأفغاني الإصلاحية في الدعوة لمحاربة الاستعمار و مواجهة الاستلاب الحضاري و التغريب الثقافي، و السعي إلى توحيد الأمة في شكل جامعة إسلامية، و بعث نهضة إسلامية قائمة على الرجوع إلى أصول الدين و الهوية الإسلامية، و محاربة التقليد و الانهيار بالحضارة الغربية، و بث الحماس و إحياء روح الاعتزاز بالهوية الإسلامية.

من أهم أفكاره نذكر ما يلي:

*محاربة الاستبداد كمقدمة لبناء الدولة الإسلامية:

سعى الأفغاني إلى إقامة دولة إسلامية نموذجية في إحدى البلدان الإسلامية التي تكون مهيأة أكثر لذلك، بداية بمصر ثم إيران ثم الدولة العثمانية، و مفهوم الدولة النموذجية عنده يعني تلك التي تلتزم بالقرآن و السنة و تعتمد مبدأ الشورى و تحترم الأحكام الدستورية، و قد وجد الأفغاني في مصر الدولة الأصلاح لنموذجه هذا فراهن عليها و على شعبها، لكنه اصطدم بنظام الاستبداد للخديوي إسماعيل، الذي كان عقبة أمام أي محاولة للإصلاح، فخلص في الأخير إلى أن الجهل و غياب الوعي من أهم عوامل ازدهار النظام الاستبدادي، و أنه لا يمكن تحقيق أي إصلاح دون القضاء جذوره، و لأجل تحقيق هذه الغاية لجأ الأفغاني إلى توعية الجماهير الشعبية بفساد النظام الحاكم، و التركيز عليها دون النخبة السياسية التي اعتبرها دخيلة عليه، مستغلاً قوة خطابه و بلاغته لاستمالة الجماهير و تعبئتها للمطالبة بالإصلاح و الثورة ضد الاستبداد.

فشل الأفغاني في تجسيد مشروع و نموذجه الإصلاحي الثوري و تم طرده من مصر إلى الهند، لكن تلامذته و أتباعه في مصر نجحوا في استكمال مشروعه و القيام بثورة،

أسست لنظام ملكي دستوري نيابي، لكن تدخل القوات البريطانية أجهض الثورة و النظام الإصلاحي الجديد.

*محااربة الاستعمار وإقامة الجامعة الإسلامية:

أعاد الأفغاني النظر في أفكاره الإصلاحية بعد فشل تطبيق نموذجه، خاصة تلك المتعلقة بمعوقات الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي و وسائل تحقيقه، فبعد أن خلس إلى أن النظم المستبدة تمثل العائق الأكبر أمام أي إصلاح، تبين له جليا بعد إجهاض الإنجليز للثورة المصرية أن الاستعمار الغربي يشكل العقبة الكبرى في وجه أي عملية إصلاحية، كما اعتبر أن انقسامات المسلمين و تمزق وحدتهم السياسية، هي أهم العوامل التي مهدت الطريق لاستعمار العالم الإسلامي، لذلك كان أساس مشروعه النهضوي في هذه المرحلة هو تحرير البلاد الإسلامية المستعمرة و إقامة جامعة إسلامية بين الدول الإسلامية المستقلة.

*وسائل تحقيق المشروع الوحدوي عند الأفغاني:

- الاستمرار في تشجيع و دعم أي محاولة لبناء دولة إسلامية نموذجية في كبرى الدول الإسلامية كإيران التي لم تخضع بعد إلى الاستعمار الغربي.
- إثارة الشعوب الإسلامية ضد الاستعمار الغربي، خصوصا البريطاني في كامل الدول الإسلامية.
- دعوة الدول الإسلامية المستقلة: الدولة العثمانية، إيران، أفغانستان إلى الاتحاد لحماية استقلالهم، و المساعدة في تحرير البلاد الإسلامية المستعمرة، و قد تطورت هذه الدعوة لاحقا لتصبح فكرة الجامعة العربية.
- الاستفادة من الخلاف القائم بين فرنسا و بريطانيا لصالح تحرير البلاد الإسلامية الخاضعة للاستعمار البريطاني، كما اقترح أن تتعاون إيران و أفغانستان مع روسيا، لتحرير الهند المسلمة من الاستعمار البريطاني مقابل تقسيمها بينهم.

*أهداف الجامعة الإسلامية:

- سد الفجوة و التباعد بين المسلمين و الشيعة، إذ اعتبر أن الاختلاف بين التيارين هو مجرد اختلاف هامشي، و أن الانقسام بينهما لا يخدم سوى مصالح الحكام المستبدين و مصالح الاستعمار الغربي.
- سد الفجوة بين الجماعات القومية المسلمة المختلفة، و في هذا الإطار انتقد الأفغاني الإيديولوجية القومية الصاعدة، مؤكداً على أن الإسلام هو الجنسية الوحيدة للمسلمين، كما هاجم السياسة العثمانية التي اعتمدت على سياسة التريك في البلدان غير العثمانية، و دعا كافة المسلمين لاستخدام لغة واحدة هي اللغة العربية.
- سد الفجوة السياسية بين الدول الإسلامية المستقلة حيث اقترح طريقتين للتوحيد:

➤ إقامة نوع من الاتحاد الفيدرالي أو الكومنولث تتمتع فيه الدول باستقلالها الداخلي.

➤ إقامة جامعة إسلامية على أساس التزام جميع الدول الإسلامية المنظمة إليها بذات القيم و الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن و السنة.

*تقييم المشروع الوحدوي للأفغاني:

اعتمد الأفغاني في سبيل تحقيق نموذج الوحدوي بعض الآليات المتناقضة أحياناً، فنجد في دعوته لتوحيد الدول الإسلامية المستقلة يتعاون مع حكام تلك الدول، في حين تطلب سعيه نحو إصلاح النظم السياسية في الدول الإسلامية أن ينبه الجماهير المسلمة إلى فساد حكامها و يعمل على إثارتهم ضدهم، كما تطلب مسعاه نحو تحرير البلاد الإسلامية المحتلة أن يتعاون مع حكام الدول الإسلامية من جهة، و يعي الجماهير المسلمة من جهة أخرى ضد الاستعمار تحت راية الخلافة العثمانية.

رهانه في كل مرة على دولة معينة لتجسيده نموذج، ففي البداية فشل رهانه على مصر بسبب تدخل القوات البريطانية التي أجهضت ثورته، ثم كان توجهه إلى إيران كونها لم تخضع للاستعمار الغربي، وضعه أحيانا كثيرة في صدام مع الشاه، رغم نجاحه في البداية في استمالاته نحو بناء نظام سياسي إسلامي دستوريا بتمثيل نيابي، إلا أن علاقتهما ساءت في النهاية وتم طرده من البلاد ففشل مشروعه للمرة الثانية، مما حتم عليه التوجه نحو الدولة العثمانية لأنها كانت أقوى الدول الإسلامية المستقلة وأكثرها ندية للدول الغربية، و الأقدر على حماية الإسلام و توحيد المسلمين، فقام بمبايعة السلطان عبد الحميد خليفة للمسلمين، ودعوته لإصلاح النظام السياسي و تبني فكرة الجامعة الإسلامية، غير أن السلطان تشكك في نواياه الحقيقية و رفض أفكاره الإصلاحية و مشروعه الوحدوي للجامعة الإسلامية، بل أكثر من ذلك إذ قام بفرض الرقابة عليه و الإقامة الجبرية في الأستانة(اسطنبول حاليا)، ما جعل الأفغاني يتحول ضده و يعلن براءته من مبايعته خليفة للمسلمين.

بالرغم من فشل الأفغاني في تطبيق أفكاره و تجسيد مشروعه الإصلاحي و الوحدوي، إلا أنه نجح إلى حد ما في إيقاظ شريحة كبيرة من الأمة الإسلامية، التي أصبحت واعية بحقوقها و مسؤولياتها، كما أن الكثير من تلامذته تبني أفكاره الإصلاحية و مشاريعه الوجدوية، و اتخذوها أساسا لأفكارهم و مشاريعهم لتحقيق الوحدة و النهضة الإسلامية.